﴿ فَتحُ المَنَّانِ ﴾
﴿ فِي جَوَابِ عَبدِ الرَّحمَانِ ﴾



لِلشَّيخ أَحمَدَ الخَدِيم
كَانَ لَهُ بِكَرَمِهِ البَاقِي القَدِيم

اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم
واجزه عنّا ما هو أهله بجاه أحمد الخديم رضي الله عنه

جمع وتصنيف المريد الفقير عليّ بدر جاج المتعلّق
بالشيخ مصطفى حفصه رحمه الله رحمة واسعه
غفر الله للمريد ولوالديه ولكلّ مسلم ومسلمه
بجاه شيخه وشيخ شيخه وشيخ ذاك الشيخ ثمّ شيخه

تقبّل الله خدمة كلّ من أعان على الجمع والمراجعة
والتصحيح وأيّده ونصره وبارك في القارئ والناشر

المسؤول عن النشر المريد عبد الله جاج المتعلّق
بالشيخ مصطفى حفصه رضي الله عنه

abdoulaye@diagne.org • +221 7[$\frac{6}{7}$] 644 56 10
Telegram ••••• WhatsApp

فكلّ من نظر فليدع لنا بخير ما يدعى لعبد أحسنا

جميع الحقوق محفوظة
تاريخ النسخة – Version date – December 24, 2024

لِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَبَّهَ أَهْلَ السَّعَادَةِ مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَالْجَهْلِ وَالْعِصْيَانِ، وَأَغْرَاهُمْ بِطَلَبِ الثَّوَابِ وَالْمَرْضَاةِ وَالْغُفْرَانِ، ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبَدًا عَلَى مَنْ أَنْقَذَنَا مِنَ الْخُسْرَانِ وَالْحِرْمَانِ، حَتَّى سَلَكَ بِنَا مَهْيَعًا يُدْخِلُنَا الْجِنَانَ وَيُنَجِّينَا مِنَ النِّيرَانِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْفُرْسَانِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، أَمَّا؛ بَعْدُ فَإِنَّكَ أَيُّهَا التِّلْمِيذُ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ وَصِيَّةً تَنْتَفِعُ بِهَا فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ، وَتَدْفَعُ بِهَا عَنْكَ مَكَايِدَ الشَّيْطَانِ، فَأَجَبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ بَعْدَ الِاسْتِخَارَةِ، حَتَّى وَضَعْتُ لَكَ نُبْذَةً تُغْنِي عَنِ الْأُسْتَاذِ وَالْأَنِيسِ، وَتَنْفَعُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْتَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكُلَّ مَنْ رَغِبَ فِيهَا مِنْ أَمْثَالِكَ وَسَمَّيْتُهَا

﴿بِفَتْحِ الْمَنَّان، فِي جَوَابِ عَبْدِ الرَّحْمَان،﴾

وَاللَّهَ تَعَالَى أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَهَا عَمَلًا صَالِحًا خَالِصًا مُتَقَبَّلًا، وَأَنْ

يَجْعَلَهَا سَبَبًا لِنَجَاتِنَا نَحْنُ وَأَنْتَ مِنْ شُرُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكُلِّ مَنْ رَغِبَ فِيهَا بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِاللَّهِ تَعَالَى أَسْتَعِينُ، وَإِيَّاهُ أَرْجُو وَأَخَافُ.

فَقُلْتُ أُوصِيكَ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِي شُذُورِ الْأَذْكَارِ لِشَيْخِنَا سِيدِيَ بْنِ الْمُخْتَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنَّا بِهِ: إِنَّ الْفَوَائِدَ فِي الْعَقَائِدِ، وَإِنَّ التَّقْوَى رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ، وَجِمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ، فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَمَنْ أَرَادَ الرِّزْقَ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَمَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، انْتَهَى.

فَإِنْ قُلْتَ فَبَيِّنْ لَنَا التَّقْوَى حَتَّى نَعْلَمَهُ، قُلْتُ: اعْلَمْ أَنَّ التَّقْوَى عِبَارَةٌ عَنِ امْتِثَالِ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، لَا خَوْفِ بَلَاءِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ، كَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ السُّفَهَاءِ الَّذِينَ غَرَّهُمْ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ، تَرَى بَعْضَهُمْ يَقُولُ إِنِّي خَائِفٌ مِنْ ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَضَيْقِهِ وَعَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَتِهَا وَأَلَمِ الْمَوْتِ وَسَكْرَتِهِ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَى الْكَبَائِرِ؛ كَالنَّظَرِ إِلَى الْأَجْنَبِيَّةِ وَالْكَذِبِ وَالْغِيبَةِ وَكَثْرَةِ الْفُضُولِ، فَإِنْ قُلْتَ لَهُ: هَذَا حَرَامٌ، قَالَ لَكَ: هَذَا لَا

يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتْرُكَهُ، لِأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَفْعَلُونَهُ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ حُشِرَ النَّاسُ إِلَى النَّارِ لَا يَسُرُّهُ أَنْ يَجْتَمِعَ مَعَهُمْ فِي الْعَذَابِ بَلْ يَسُوؤُهُ ذَلِكَ كُلَّ تَرْحَةٍ، وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْمَعْصِيَةَ مَمْنُوعَةٌ حَرَامٌ قَلَّتْ أَوْ جَلَّتْ، وَلَا يُجَوِّزُهَا ازْدِحَامُ الْخَلْقِ عَلَيْهَا وَلَا اجْتِمَاعُهُمْ فِيهَا؛ بَلْ كَمَا كَانَتْ ثَقِيلَةً عِنْدَ اللَّهِ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ، كَذَلِكَ كَانَتْ إِلَى الْآنَ، وَلَكِنِ الْمُصِيبَةُ إِذَا عَمَّتْ هَانَتْ، وَدَّتِ الزَّانِيَةُ أَنْ لَوْ تَكُونُ النِّسَاءُ كُلُّهُنَّ يَزْنِينَ لِيُخْفِينَ فَضِيحَتَهَا، وَكَذَلِكَ الْعَالِمُ الْجَائِرُ لَا يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ الْعَامِلِينَ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فَضْلُ الْمُتَّقِينَ إِلَّا قَوْلَهُ تَعَالَى * هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * لَكَانَ كَافِيًا، ثُمَّ إِنَّ لِلتَّقْوَى ثَلَاثَ مَرَاتِبَ كَمَا فِي الْإِبْرِيزِ لِلْيَدَالِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَفَعَنَا بِهِ.

الْأُولَى: التَّوَقِّي عَنِ الْعَذَابِ الْمُخَلَّدِ بِالتَّبَرُّؤِ مِنَ الشِّرْكِ.

وَالثَّانِيَةُ: التَّجَنُّبُ عَنْ كُلِّ مَا يُؤَثِّمُ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ حَتَّى الصَّغَائِرَ، وَهُوَ التَّقْوَى شَرْعًا.

وَالثَّالِثُ: أَنْ يَتَنَزَّهَ عَمَّا يُشْغِلُ سِرَّهُ عَنِ الْحَقِّ وَيَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ بِشَرَاشِرِهِ، وَهُوَ التَّقْوَى الْحَقِيقِيُّ الْمَطْلُوبُ.

فَالْأُولَى قَوْلُهُ تَعَالَى * وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى *

وَالثَّانِيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى * وَلَوَ اَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا *
وَالثَّالِثَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ *
انْتَهَى.
وَفِي الْحَدِيثِ * الْكَرَمُ التَّقْوَى * وَفَسَّرَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، فَقَالَ:
مَعْنَاهُ أَنَّ الْكَرَمَ لَا يَحْصُلُ فِي الْمَرْءِ إِلَّا إِذَا كَانَ تَقِيًّا يَجْتَنِبُ
الشُّبُهَاتِ وَيَفِرُّ مِنَ الْمَحْظُورَاتِ، وَيَكُونُ فِيهِ الْمَكَارِمُ الدِّينِيَّةُ
وَالْأَخْلَاقُ السَّنِيَّةُ وَالشِّيَمُ الْحَسَنَةُ، وَقَدْ أَوْصَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ لَهُ * عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ جِمَاعُ كُلِّ
خَيْرٍ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ
وَذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ، وَاحْفَظْ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ بِهِ
تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ *
فَإِنْ قُلْتَ: مَا كَيْفِيَّةُ امْتِثَالِ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي؟.
قُلْتُ: فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُمْكِنُ لِعَبْدٍ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ مَا أَمَرَهُ رَبُّهُ
بِهِ وَمَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَالْمَعْرِفَةُ لَا تُنَالُ إِلَّا بَعْدَ التَّعَلُّمِ غَالِبًا، وَلِذَلِكَ
وَجَبَ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُقَدِّمَ التَّعَلُّمَ عَلَى الْعِبَادَةِ.
وَفِي الْمَنْهَجِ لِشَيْخِنَا وَقُدْوَتِنَا الْغَزَالِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنَّا بِهِ آمِينَ

مَا لَفْظُهُ: وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ وَالْعِبَادَةَ جَوْهَرَانِ لِأَجْلِهِمَا كَانَ كُلُّ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ مِنْ تَصْنِيفِ الْمُصَنِّفِينَ وَتَعْلِيمِ الْمُعَلِّمِينَ وَوَعْظِ الْوَاعِظِينَ وَنَظَرِ النَّاظِرِينَ؛ بَلْ لِأَجْلِهِمَا أُنْزِلَتِ الْكُتُبُ وَأُرْسِلَتِ الرُّسُلُ؛ بَلْ لِأَجْلِهِمَا خُلِقَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْخَلْقِ.

فَتَأَمَّلْ آيَتَيْنِ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِحْدَاهُمَا قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الْاَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْاَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ اَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا * وَكَفَى بِهَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلًا عَلَى شَرَفِ الْعِلْمِ لَا سِيَّمَا عِلْمُ التَّوْحِيدِ، وَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ قَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْ قَائِلٍ * وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالِانْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * وَكَفَى بِهَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلًا عَلَى شَرَفِ الْعِبَادَةِ وَلُزُومِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا.

فَأَعْظِمْ بِأَمْرَيْنِ هُمَا الْمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِ الدَّارَيْنِ، فَحُقَّ لِلْعَبْدِ أَنْ لَا يَشْتَغِلَ إِلَّا بِهِمَا وَلَا يَتْعَبَ إِلَّا لَهُمَا وَلَا يَنْظُرَ إِلَّا فِيهِمَا، فَاعْلَمْ أَنَّ مَا سِوَاهُمَا مِنَ الْأَمْرِ بَاطِلٌ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَغْوٌ لَا حَاصِلَ لَهُ.

فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ الْجَوْهَرَيْنِ وَأَفْضَلُهُمَا

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي * وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * نَظْرَةٌ إِلَى الْعَالِمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ صِيَامَهَا وَقِيَامَهَا * وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَشْرَفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هُمْ عُلَمَاءُ أُمَّتِي *

فَبَانَ لَكَ أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ جَوْهَرًا مِنَ الْعِبَادَةِ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنَ الْعِبَادَةِ مَعَ الْعِلْمِ، وَإِلَّا كَانَ عِلْمُهُ هَبَاءً مَنْثُورًا، فَإِنَّ الْعِلْمَ بِمَنْزِلَةِ الشَّجَرَةِ وَالْعِبَادَةَ بِمَنْزِلَةِ ثَمَرَةٍ مِنْ ثَمَرَاتِهَا، فَالشَّرَفُ لِلشَّجَرَةِ إِذْ هِيَ الْأَصْلُ، لَكِنِ الِانْتِفَاعُ بِثَمَرَتِهَا فَإِذًا لَا بُدَّ مِنَ الْعِبَادَةِ لِيَسْلَمَ شَرَفُ الْعِلْمِ، وَلَا بُدَّ لِلْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ كِلَا الْأَمْرَيْنِ حَظٌّ وَنَصِيبٌ، وَلِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى * اُطْلُبُوا هَذَا الْعِلْمَ طَلَبًا لَا يَضُرُّ بِالْعِبَادَةِ وَاطْلُبُوا هَذِهِ الْعِبَادَةَ طَلَبًا لَا يَضُرُّ بِالْعِلْمِ *

وَفِيهِ أَيْضًا [1] * فَإِنَّكَ أَوَّلًا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ الْمَعْبُودَ ثُمَّ

[1] (أَيْ فِي الْمَنْهَجِ لِشَيْخِنَا الْغَزَالِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنَّا بِهِ) .

تَعْبُدَهُ، وَكَيْفَ تَعْبُدُ مَنْ لَا تَعْرِفُهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِ ذَاتِهِ، وَمَا يَجِبُ لَهُ وَمَا يَسْتَحِيلُ فِي نَعْتِهِ، فَرُبَّمَا تَعْتَقِدُ فِيهِ وَفِي صِفَاتِهِ شَيْئًا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - مِمَّا يُخَالِفُ الْحَقَّ فَتَكُونُ عِبَادَتُكَ هَبَاءً مَنْثُورًا *

وَفِيهِ أَيْضًا * ثُمَّ يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ مَا يَلْزَمُكَ فِعْلُهُ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى مَا أُمِرْتَ بِهِ لِتَفْعَلَ ذَلِكَ، وَمَا يَلْزَمُكَ تَرْكُهُ مِنَ الْمَنَاهِي لِتَتْرُكَ ذَلِكَ، وَكَيْفَ تَقُومُ بِطَاعَةٍ لَا تَعْرِفُ مَا هِيَ وَكَيْفَ هِيَ وَكَيْفَ يَجِبُ أَنْ تُفْعَلَ، أَوْ كَيْفَ تَجْتَنِبُ مَعَاصِيَ لَا تَعْلَمُ أَنَّهَا مَعَاصٍ حَتَّى لَا تُوقِعَ نَفْسَكَ فِيهَا *

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي طَلَبُهُ فِي الْجُمْلَةِ فَرِيضَةٌ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: عِلْمُ التَّوْحِيدِ، وَعِلْمُ الشَّرِيعَةِ، وَعِلْمُ التَّصَوُّفِ.

وَعَلَيْكَ بِأَنْ تَرْعَى جَوَارِحَكَ السَّبْعَةَ وَهِيَ اللِّسَانُ وَالْبَطْنُ وَالْفَرْجُ وَالرِّجْلَانِ وَالْيَدَانِ وَالْعَيْنَانِ وَالْأُذْنَانِ.

وَكَيْفِيَّةُ رَعْيِهَا أَنْ تَحْفَظَ اللِّسَانَ عَنِ الْغِيبَةِ وَفِي (النصيحة البتّه لجمع كنته) [2] لِشَيْخِنَا الْكَبِيرِ الشَّيْخِ سَيِّدِي الْمُخْتَارِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ عَنَّا وَجَعَلَنَا مِمَّنْ تَوَلَّاهُ، مَا لَفْظُهُ: أُوصِيكُمْ

[2] بِمَعْنَى (النَّصِيحَةُ النِّهَائِيَّةُ الَّتِي لَا رَجْعَةَ فِيهَا لِأَهَمِّيَّتِهَا وَمِحْوَرِيَّتِهَا فِي هَمِّ الْمَنْصُوصِ وَحَاجَتِهِ إِلَيْهَا لِجَمِيعِ الْأَهْلِ الْكُنْتِيِّ).

بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ وَإِمْسَاكِ أَلْسِنَتِكُمْ فَإِنَّ اللِّسَانَ أَعْدَى الْأَعْدَاءِ وَأَصْدَقُ الْأَصْدِقَاءِ فَإِنْ أَمْسَكْتَهُ أَوْ ذَكَرْتَهُ بِهِ نَجَوْتَ وَإِنْ أَطَعْتَ بِهِ فَهُوَ أَصْدَقُ الْأَصْدِقَاءِ.

وَفِي الْخَبَرِ: لِسَانُكَ أَسَدُكَ، فَإِنْ أَمْسَكْتَهُ نَجَوْتَ مِنْهُ وَإِنْ أَطْلَقْتَهُ أَكَلَكَ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ، وَمُكْثِرُ الْقَوْلِ فِي الْبَاطِلِ، وَعَاقُّ الْوَالِدَيْنِ * وَقَالَ عُمَرُ لِشَابٍّ مَرَّ بِهِ ذَاتَ يَوْمٍ * يَا شَابُّ إِذَا وُقِيتَ شَرَّ ثَلَاثٍ فَقَدْ وُقِيتَ الشَّرَّ كُلَّهُ: لَقْلَقَكَ أَيْ لِسَانَكَ، وَقَبْقَبَكَ أَيْ بَطْنَكَ، وَذَبْذَبَكَ أَيْ فَرْجَكَ * قُلْتُ: بَلْ وَرَدَ مِثْلُهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ لِلْحَافِظِ السُّيُوطِيِّ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنِ اخْتَصَرَ لَهُ فِي الْوَصِيَّةِ * اتَّقِ اللَّهَ وَأَمْسِكْ لِسَانَكَ * فَيُكَرِّرُ السُّؤَالَ ثَلَاثًا، وَهُوَ يُكَرِّرُ الْوَصِيَّةَ، قُلْتُ: وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْحَسَنِ * مَنْ صَمَتَ نَجَا * وَفَسَّرَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: مَعْنَاهُ مَنْ وَاظَبَ عَلَى الصُّمْتِ نَجَا مِنَ الْفِتَنِ وَمِنْ وُقُوعِ الْآفَاتِ وَالْمِحَنِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * كَلَامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ إِمَّا عَلَيْهِ أَوْ لَهُ

* وَفِي رِوَايَةٍ * كَلَامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ إِلَّا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ * وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * إِذَا أَصْبَحَ الْعَبْدُ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ تَشْتَكِي إِلَى اللِّسَانِ؛ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا؛ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا * وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * أَكْثَرُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ * وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ * لَأَنْ أُحْفَظَ فِي الْمَنْطِقِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَثِيرِ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ *

وَمِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ أَنَّ عَدَمَ إِمْسَاكِهِ يُفْسِدُ الدِّينَ، وَيُقَسِّي الْقَلْبَ، وَيُقَلِّلُ الرِّزْقَ، وَلِخَبَرِ: إِذَا رَأَيْتَ وَهْنًا عَلَى دِينِكَ، أَوْ قَسَاوَةً فِي قَلْبِكَ، أَوْ حِرْمَانًا فِي رِزْقِكَ؛ فَاعْلَمْ أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ بِمَا لَا يَعْنِيكَ، وَقَالَ مَالِكٌ: مَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ أَقَلَّهُ، وَقَالَ الْهِلَالِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَكُلُّ مَا حَصَدَهُ اللِّسَانُ يَجِدُهُ يَوْمَ الْجَزَا الْإِنْسَانُ.

وَمِمَّا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى حِفْظِ اللِّسَانِ ثَلَاثَةٌ: شُغْلُهُ بِالذِّكْرِ الْقَائِمِ، وَالْخَلْوَةُ عَنِ الْخَلْقِ، وَقِلَّةُ الْمَطْعَمِ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ * هَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ * وَقَالَ * مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ *

وَرُوِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ ثَلَاثَةً إِذَا كُنَّ فِي مَوْضِعٍ فَالرَّحْمَةُ مَصْرُوفَةٌ عَنْهُ ذِكْرُ الدُّنْيَا وَالضَّحِكُ وَالْوَقِيعَةُ فِي النَّاسِ.

فَاحْفَظْ لِسَانَكَ يَا أَخِي تَسْلَمْ، وَمِمَّا يُسْتَعَانُ أَيْضًا بِهِ عَلَى حِفْظِ اللِّسَانِ مَا فِي شَرْحِ الْمُرْشِدِ وَفِيهِ وَمَنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ مِنْ آفَاتِ لِسَانِهِ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ النَّاسِ وَسُورَةِ الْقَدْرِ.

وَأَمَّا الْبَطْنُ فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَحْفَظَهُ مِنَ الْحَرَامِ وَالشُّبَهِ، وَهُوَ أَنْ لَا تَأْكُلَ إِلَّا حَلَالًا وَهُوَ مَا جُهِلَ أَصْلُهُ أَوْ عُلِمَ وَفِي الْحَدِيثِ * مَا جَاءَكَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا اسْتِشْرَافِ نَفْسٍ فَخُذْهُ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ * وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا * مَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ أَطَاعَ اللَّهَ أَحَبَّ أَمْ كَرِهَ، وَمَنْ أَكَلَ الْحَرَامَ عَصَى اللَّهَ أَحَبَّ أَمْ كَرِهَ *

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كُلْ مَا شِئْتَ فَمِثْلَهُ تَفْعَلْ، وَاصْحَبْ مَنْ شِئْتَ فَأَنْتَ عَلَى دِينِهِ، فَيَتَعَيَّنُ عَلَى الْمُؤْمِنِ طَلَبُ الْحَلَالِ وَفِي الْحَدِيثِ * طَلَبُ الْحَلَالِ جِهَادٌ * وَفَسَّرَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: مَعْنَاهُ أَنَّ نَفْسَ بَنِي آدَمَ أَمْيَلُ إِلَى الْحَرَامِ لِاتِّسَاعِهِ وَكَثْرَتِهِ، فَإِذَا خَالَفَهَا فِي تَحْصِيلِ الْحَلَالِ مَعَ عِزَّتِهِ وَقِلَّتِهِ فَكَأَنَّهُ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ

أَعْدَائِهِ فَجَعَلَ اللَّهُ اهْتِمَامَ الْعَبْدِ فِي طَلَبِ الْحَلَالِ مُكَفِّرًا لِبَعْضِ ذُنُوبِهِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا الْهَمُّ فِي طَلَبِ الْحَلَالِ * وَقَالَ سَيِّدِي أَحْمَدُ الْهِلَالِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أُرْجُوزَتِهِ

وَكُلُّ لَحْمٍ مِنْ حَرَامٍ قَدْ نَبَتْ فَالنَّارُ قُلْ أَوْلَى بِهِ كَمَا ثَبَتْ

وَلِي أَنَا

ثَلَاثَةٌ دَعْوَتُهُمْ لَا تُقْبَلُ قَطْعًا كَمَا عَنِ النَّبِيِّ نَقَلُوا

مُكَثِّرُ الْغِيبَةِ آكِلُ الْحَرَامْ ذُو الْغِلِّ وَالْحَسَدِ أَيْضًا لِلْأَنَامْ

وَمَنْ أَدْخَلَ لُقْمَةَ الرِّبَا أَوِ الْحَرَامِ فِي بَطْنِهِ فَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلَهُ مُدَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَاجْتَهِدْ يَا مُرِيدُ، أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ، عَلَى رِعَايَةِ وَدَائِعِهِ وَحِفْظِ مَا أَوْدَعَنَا.

وَأَمَّا الْفَرْجُ فَيَجِبُ حِفْظُهُ مِنَ الزِّنَا وَنَحْوِهِ وَكَذَلِكَ سَتْرُهُ عَنِ الْعُيُونِ وَعَنِ التُّرَابِ وَالْحَيَوَانِ، وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى حِفْظِ الْفَرْجِ كَثْرَةُ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْفَلَقِ، وَالدَّوَامُ عَلَى قَوْلِ * سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ * وَكَثْرَةُ قِرَاءَةِ سُورَةِ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ فَاغْتَنِمْ أَيَّدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ بِنَصْرِهِ.

وَأَمَّا الرِّجْلَانِ فَيَجِبُ حِفْظُهُمَا مِنَ السَّعْيِ إِلَى الْمَمْنُوعِ، كَالْمَشْيِ إِلَى السَّرِقَةِ، أَوْ إِلَى اللَّهْوِ غَيْرِ الْمُبَاحِ، أَوْ إِلَى النَّمِيمَةِ، أَوْ إِلَى السَّلَاطِينِ بِلَا ضَرُورَةٍ، .

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :مَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِي عِزِّ الدُّنْيَا شَارَكَهُ فِي ذُلِّ الْآخِرَةِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يَظْلِمُونَ وَيَكْذِبُونَ، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ فِي كَذِبِهِمْ أَوْ أَعَانَهُمْ فِي ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ * وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ * أَبْغَضُ الْقُرَّاءِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يَزُورُونَ الْأُمَرَاءَ *

وَفِي الْخَبَرِ: الْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ اللَّهِ وَأُمَنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ مَا لَمْ يُخَالِطُوا السَّلَاطِينَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ خَانُوا الرُّسُلَ فَاحْذَرُوهُمْ، وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: مَا مِنْ شَيْءٍ أَبْغَضَ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَالِمٍ يَزُورُ الْأُمَرَاءَ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: الذُّبَابُ عَلَى الْعَذِرَةِ أَحْسَنُ مِنْ قَارِئٍ عَلَى أَبْوَابِ هَؤُلَاءِ، قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: فِي جَهَنَّمَ وَادٍ لَا يَسْكُنُهُ إِلَّا الْقُرَّاءُ الزَّائِرُونَ لِلْمُلُوكِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * مَا ازْدَادَ رَجُلٌ قُرْبًا مِنَ السُّلْطَانِ إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا، وَلَا كَثُرَتْ أَتْبَاعُهُ إِلَّا كَثُرَتْ شَيَاطِينُهُ، وَلَا كَثُرَ مَالُهُ إِلَّا كَثُرَ عِقَابُهُ *

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ الرَّجُلَ يَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ وَمَعَهُ دِينُهُ وَيَخْرُجُ وَمَا مَعَهُ شَيْءٌ، قِيلَ لَهُ كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَرْضَاهُ بِمَا أَسْخَطَ اللَّهَ تَعَالَى.

فَلَوْ لَمْ نُمْسِكْ عِنَانَ الْقَلَمِ لَأَتَيْنَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِأَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ، وَلَكِنَّكَ مُبْتَدِئٌ لَا تَحْمِلُ الثَّقِيلَ فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَلَكِنِ اشْدُدْ يَدَيْكَ بِهَذِهِ الْوَرَقَاتِ، وَاجْعَلْهَا نُصْبَ عَيْنَيْكَ، وَوَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِلتَّحْقِيقِ.

وَأَمَّا الْيَدَانِ فَلَا تَمَسَّ بِهِمَا مَا لَا يَحِلُّ لَكَ مَسُّهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ، كَالْأَجْنَبِيَّةِ أَوْ مَالِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، وَلَا تَكْتُبْ بِهِمَا مَا لَا يَجُوزُ النُّطْقُ بِهِ.

وَأَمَّا الْعَيْنَانِ فَغُضَّهُمَا عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ النَّظَرُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَحَارِمِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ: مِنْهَا النَّظَرُ لِلْمَرْأَةِ أَوْ لِلصَّبِيِّ بِشَهْوَةِ نَفْسٍ، وَمِنْهَا النَّظَرُ فِي كِتَابِ الرَّجُلِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي جَمْرَةِ جَهَنَّمَ،

وَمِنْهَا التَّطَلُّعُ عَلَى مَا سُتِرَ عَنْكَ مِنْ حَاجَةٍ وَغَيْرِهَا، وَمِنْهَا إِجَالَةُ النَّظَرِ فِيمَا أُذِنَ لَكَ فِي دُخُولِهِ مِنْ بَيْتٍ وَنَحْوِهِ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ، وَمِنْهَا التَّطَلُّعُ عَلَى عَوْرَةٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَا زَوْجَيْنِ، وَقَدْ قِيلَ: لَا يَنْبَغِي لِأَنَّهُ يُورِثُ الْعَمَى، وَيَذْهَبُ بِالْحَيَاءِ، وَرُبَّمَا يَرَى مَا يَكْرَهُ فَيُؤَدِّي إِلَى الْبَغْضَاءِ، وَمِنْهَا نَظَرُ الرَّجُلِ إِلَى عَوْرَةِ نَفْسِهِ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ، وَفِي تَحْرِيمِهِ وَكَرَاهَتِهِ قَوْلَانِ، وَقِيلَ: إِنَّ فَاعِلَهُ يُبْتَلَى بِالزِّنَا وَنَحْوِهِ، وَقَدْ جُرِّبَ فَصَحَّ، وَمِنْهَا النَّظَرُ إِلَى الْجَبَابِرَةِ بِعَيْنِ التَّعْظِيمِ وَالرِّضَى بِأَقْوَالِهِمْ وَإِتْبَاعِهِمُ الْبَصَرَ تَعْظِيمًا، وَمِنْهَا النَّظَرُ بِعَيْنِ الِاحْتِقَارِ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَكَيْفَ تَحْتَقِرُ مَنْ لَنْ تَقْطَعَ بِأَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَمِنْهَا النَّظَرُ فِيمَا لَا يَحِلُّ كَتْبُهُ وَلَا تَعَلُّمُهُ لِقَصْدِ ذَلِكَ.

وَهَذَا كُلُّهُ فِي غَيْرِ النَّظْرَةِ الْأُولَى، وَفِي الرِّسَالَةِ: وَلَيْسَ فِي النَّظْرَةِ الْأُولَى بِغَيْرِ تَعَمُّدٍ حَرَجٌ، قَالَ تَعَالَى ﴿ قُلْ لِلْمُومِنِينَ يَغُضُّوا مِنَ اَبْصَارِهِمْ ﴿ الْآيَةَ وَالْعَيْنُ سَبَبُ الْخَيْرِ، وَهِيَ قَوْسُ إِبْلِيسَ الَّتِي إِذَا ضَرَبَ بِهَا لَمْ يُخْطِئْ، وَمَا حَفِظَ أَحَدٌ بَصَرَهُ إِلَا حَفِظَ اللَّهُ قَلْبَهُ.

وَأَمَّا الْأُذْنَانِ فَيَجِبُ حِفْظُهُمَا عَمَّا يُؤْثَمُ بِسَمَاعِهِ كَغِيبَةٍ، وَحَقِيقَةُ الْغِيبَةِ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا فِيهِ بِمَا يَكْرَهُ أَنْ لَوْ سَمِعَهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ * أَنَّ الْغِيبَةَ أَشَدُّ مِنَ ثَلَاثِينَ زَنْيَةً فِي الْإِسْلَامِ * وَفِي الْقُرْآنِ ذَمُّهَا وَتَشْبِيهُهَا بِأَكْلِ لَحْمِ الْمَيْتَةِ.

وَفِي (النصيحة البتّه لجمع كنته) لِسَيِّدِنَا الْمُخْتَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ عَنَّا وَجَعَلَنَا مِمَّنْ تَوَلَّاهُ، وَحَقِيقَتُهَا: ذِكْرُ الرَّجُلِ أَخَاهُ بِمَا يَكْرَهُ خَلْفَهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ؛ وَإِلَّا فَهُوَ بُهْتَانٌ، وَكَذَلِكَ لَوْ ذَكَرْتَ دَابَّتَهُ أَوْ ثَوْبَهُ أَوْ دَارَهُ أَوْ شَيْئًا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِمَّا يَكْرَهُ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ * قِيئِي قِيئِي * لَمَّا قَالَتْ * يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ لَطَوِيلَةُ الذَّيْلِ * فَاسْتَقَاءَتْ، فَقَاءَتْ مُضْغَةَ لَحْمٍ فَقَالَ * وَالَّذِي بِيَدِهِ نَفْسِي لَوْ مُتِّ وَهِيَ فِي بَطْنِكِ لَدَخَلْتِ النَّارَ وَلَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا *

وَكَنَمِيمَةٍ: وَهِيَ نَقْلُ الْكَلَامِ لِلْغَيْرِ عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ * لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ * يَعْنِي نَمَّامًا أَيْ لَا يَدْخُلُهَا فِي أَوَّلِ السَّابِقِينَ، وَزُورٍ وَفِي الْحَدِيثِ * مَنْ شَهِدَ زُورًا عُلِّقَ مِنْ لِسَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ * وَكَذِبٍ وَالْكَذِبُ مِنْ أَكْبَرِ

الْكَبَائِرِ، وَحَقِيقَتُهُ: نُطْقُكَ بِمَا لَمْ تَشْهَدْهُ عَيْنَاكَ وَلَمْ تَسْمَعْهُ أُذْنَاكَ وَلَمْ تَنْقُلْهُ عَنْ مُوثَقٍ بِهِ، وَقَالَ مَالِكٌ: إِذَا كُنْتَ مُتَكَلِّمًا بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ فَأَنْتَ كَذَّابٌ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ كُلَّ مَا لَا يَجُوزُ النُّطْقُ بِهِ لَا يَجُوزُ سَمَاعُهُ.

فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * الْمُسْتَمِعُ مُشَارِكُ الْقَائِلِ * وَقَالَ * مَنْ تَسَمَّعَ حَدِيثَ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ صُبَّ فِي أُذْنَيْهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ *

وَأَمَّا دَوَاءُ الْقُلُوبِ فَخَمْسَةٌ: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ، وَإِخْلَاءُ الْبَطْنِ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ، وَالتَّضَرُّعُ عِنْدَ السَّحَرِ، وَمُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ، وَقَدْ جَمَعَهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِقَوْلِهِ

دَوَاءُ قَلْبِكَ خَمْسٌ عِنْدَ قَسْوَتِهِ ... فَدُمْ عَلَيْهَا تَفُزْ بِالْخَيْرِ وَالظَّفَرِ

خَلَاءُ بَطْنٍ وَقُرْآنٌ تُدَبِّرُهُ ... كَذَا التَّضَرُّعُ لَكِنْ سَاعَةَ السَّحَرِ

كَذَا قِيَامُكَ جُنْحَ اللَّيْلِ أَوْسَطَهُ ... وَأَنْ تُجَالِسَ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالْخَبَرِ

وَفِي الْمَنْهَجِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ: صَحِبْتُ أَكْثَرَ رِجَالِ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَبَلِ الْأَبْنَانِ، فَكَانُوا يُوصُونَنِي إِذَا رَجَعْتَ إِلَى أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَعِظْهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَقُلْ لَهُمْ: مَنْ يُكْثِرِ الْأَكْلَ لَا يَجِدْ لَذَّةَ

الْعِبَادَةِ، وَمَنْ يَنَمْ كَثِيرًا لَا يَجِدْ فِي عُمُرِهِ بَرَكَةً، وَمَنْ طَلَبَ رِضَى النَّاسِ فَلَا يَنْظُرْ رِضَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ يُكْثِرِ الْغِيبَةَ لَا يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى التَّوْحِيدِ.

وَعَنْ سَهْلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: جِمَاعُ الْخَيْرِ كُلِّهِ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ الْأَرْبَعِ، وَبِهَا صَارَتِ الْأَبْدَالُ أَبْدَالًا، وَهِيَ: إِخْمَاصُ الْبَطْنِ، وَالصُّمْتُ، وَالِاعْتِزَالُ عَنِ الْخَلْقِ، وَسَهَرُ اللَّيْلِ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ؛ كَانَ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ وَلِيًّا وَنَصِيرًا؛ أَنَّ الْعِبَادَةَ شَطْرَانِ: شَطْرُ الِاكْتِسَابِ، وَشَطْرُ الِاجْتِنَابِ، فَالِاكْتِسَابُ فِعْلُ الطَّاعَاتِ، وَالِاجْتِنَابُ الِامْتِنَاعُ عَنِ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ، وَهُوَ التَّقْوَى، وَأَنَّ شَطْرَ الِاجْتِنَابِ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْلَمُ وَأَصْلَحُ وَأَفْضَلُ وَأَشْرَفُ لِلْعَبْدِ مِنَ شَطْرِ الِاكْتِسَابِ، وَلِذَلِكَ يَشْتَغِلُ الْمُبْتَدِئُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِبَادَةِ الَّذِينَ هُمْ فِي أَوَّلِ دَرَجَةِ الِاجْتِهَادِ بِشَطْرِ الِاكْتِسَابِ، جُلُّ هِمَّتِهِمْ أَنْ يَصُومُوا نَهَارَهُمْ، وَيَقُومُوا لَيْلَهُمْ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَيَشْتَغِلُ الْمُنْتَهُونَ أُولُو الْبَصَائِرِ مِنَ الْعِبَادِ بِشَطْرِ الِاجْتِنَابِ، إِنَّمَا هِمَّتُهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا قُلُوبَهُمْ عَنِ الْمَيْلِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، وَبُطُونَهُمْ عَنِ الْفُضُولِ، وَأَلْسِنَتَهُمْ عَنِ اللَّغْوِ وَأَعْيُنَهُمْ

عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَعْنِيهِمْ.

يَا أَيُّهَا الْمُرِيدُ أَحْبِبْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ؛ تَدْخُلِ الْجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ، وَأَكْرِمِ الضَّيْفَ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا، وَادْعُ لِوَالِدَيْكَ بَعْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ، وَلَا تَحْسُدْ أَحَدًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ الْحَسُودَ لَا يَسُودُ، وَإِنْ ظَلَمَكَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فَاعْفُ عَنْهُ، وَلَا تَنْتَصِرْ وَلَا تَدْعُ عَلَيْهِ.

يَا أَيُّهَا الْمُرِيدُ كُلُّ مَنْ كَانَ فَوْقَكَ فَأَكْرِمْهُ وَبَجِّلْهُ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ دُونَكَ فَارْحَمْهُ وَالْطُفْ بِهِ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ مِثْلَكَ فَافْعَلْ لَهُ مِثْلَ مَا تَفْعَلُ لِنَفْسِكَ، هَذَا آخِرُ الْوَصِيَّةِ فَإِنِ اسْتَعْمَلْتَ بِهَا تَنْجُ فِي الدَّارَيْنِ، وَتَنَلْ جَمِيعَ مَا تَطْلُبُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

رَزَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ آمِينَ بِجَاهِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ۞